الأكاديمية للدراسات
الإجتماعية والإنسانية

ثورة التحرير الجزائرية ومبدأ "خذ سلاحك من عدوّك" 1954 ـ 1959 (نماذج ونتائج)

The Algerian Liberation Revolution and the Principle of "Take your Weapon from your Enemy" 1954, 1959 (Models and Results)

Dr. Larbi BELAZZOUZ
Hassiba Ben Bouali University - Algeria -

د. العربي بلعزوز
جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف
belaz216@yahoo.fr

ملخص

سعى قادة الثورة التحريرية منذ البداية الى التأقلم مع مسألة السلاح باعتباره أهم آليات العمل الثوري، وعنصر محوري لإنجاح الثورة وضمان تأثيرها على معنويات العدو وقدراته، ومن الاستراتيجيات الآنية التي سطرت في هذا المجال منذ البداية الحصول على السلاح من العدو نفسه حسب مبدأ "خذ سلاحك من عدوك"، وكان تفعيل هذا الاختيار منذ عمليات الفاتح من نوفمبر 1954، حيث استهدفت عدة مراكز عسكرية واقتصادية لغرس الهلع والارتباك في صفوف الاحتلال، والحصول على أكبر قدر ممكن من الأسلحة، واستمرت هذه الاستراتيجية الى أبعد من ذلك بسبب تعطل وصول الأسلحة من الخارج وإقامة الاسلاك الشائكة على الحدود الشرقية والغربية للبلاد.

اعتمدت الثورة الى جانب افتكاك وسيلة الحرب من العدو، على استراتيجيات أخرى مدعمة ومكمّلة للاستراتيجية الأولى والتي تقوم على وضع استراتيجية أخرى دعامتها الدعاية لدفع جنود الاحتلال خاصة قوات اللفيف الأجنبي على الفرار من الجندية وترحيلهم الى بلدانهم، واستعمالهم في ذات الوقت كمصدر للسلاح والخيرة أيضا، بالإضافة الى حث العناصر المحلية المجندة في مختلف أسلحة العدو الى الفرار أيضا، كمصدر سلاح مهم، واضعافا للعدو، والدّعم العددية لجنود جيش التحرير الوطني.

كما نشطت جماعة الاستخبارات والاستشعار لجيش التحرير الوطني أيضا، في سبيل كشف مكائد الاحتلال، والحصول على المعلومة العسكرية للاستفادة منها لصالح الثورة، ومن العمليات التي نالت كثيرات من معنويات ضباط الاحتلال، عملية الطائر الأزرق أو (عملية القوة ك) التي سعت فرنسا من خلالها الى تمزيق الثورة والتماسك الشعبي في منطقة القبائل سنة 1956م، التي مكنت جيش التحرير من التزود بمئات الأسلحة الحديثة، وذخيرة ومبالغ مالية معتبرة استعملت ضد العدو في سبيل تحقيق الاستقلال.

الكلمات الدالة: الأسلحة، العمليات، السرية، المخابرات، اللفيف، الفرار، جيش، التحرير، الاستقلال.

Abstract

The leaders of the Algerian revolution sought from the beginning to deal with the issue of arms, because it is one of the most important mechanisms of revolutionary action, and a central element of the success of the revolution, by its impact on the enemy's morale and military capabilities.

The immediate strategy that has been developed in that era was to rely on the enemy to provide weapons according to the principle of "Take your weapon from your enemy". Since November 1st, 1954, the operations targeted several military centres and economic bases to install panic and confusion in the ranks of the colonizer, and get as many weapons as possible. This strategy has gone further in time because of the disruption of the arrival of weapons from abroad, and the construction of barbed wire on the eastern and western borders of the country.

The revolution adopted also the strategy of propaganda to incite occupation soldiers, including those of the foreign legion, to flee for deportation, and to incite the local elements recruited from the enemy to flee too, as an important source of weapons, and to weaken the enemy's army.

The intelligence and detection group of the National Liberation Army has also been active, in order to discover the plans of the occupation, and get military information. Among the operations that influenced the morale of the colonizer's officers negatively the Blue Bird Operation (Force k), through which the French colonizer sought to destroy the revolution and popular cohesion in the region of Kabylie in 1956. This allowed the Liberation Army to obtain hundreds of modern weapons, ammunition and large sums of money that were used against the enemy to gain independence.

Keywords: *Weapons, Confidential operations, Intelligence, Foreign Legion, escape, Liberation Army, independence.*

مقدمة

اعتبرت قضية التسليح بالنسبة لقادة ثورة التحرير الجزائرية مسألة محورية، لأن السّلاح وحده، والجزائريون المخلصون مقبلون على ثورة مسلّحة، هو الذي يكسب تلك الثورة شعبية ومصداقية ويخرجها الى مرحلة اليقين والشمولية، ولكن المعطيات المتوفرة لدينا، ولديهم أيضا أنذاك من دون شك، تشير الى نقص فادح في العتاد والعدّة معا، أمام عدوّ متغطرس وعنيد يملك قوة عسكرية هائلة ومدعّم من قبل حلف الشمال الأطلسي.

فإلى غاية بداية الثورة لم يحتكم جيش التحرير الوطني الا على كمية قليلة من السلاح تراوحت حسب بن بلة بين 350 الى 400 قطعة مختلفة فقط[1]، مع أن التحضير للعمل المسلح كان منذ 1947 مع تأسيس المنظمة الخاصة[1]، التي قامت بجهود معتبرة لحيازة ترسانة من الأسلحة، الا أن الحصيلة كانت مجموعة من القطع هي من مخلفات الحرب العالمية الثانية في كل من ليبيا وتونس، ومن الانزال الأمريكي في الجزائر سنة 1942. وقد تم تخزين تلك الحصيلة في مراكز في كل من الأوراس، والشلف والأغواط، السمندو، القبائل والجزائر العاصمة، الاّ أن زلزال الأصنام (الشلف) بتاريخ 9 سبتمبر 1954 أدى الى اتلاف المخزون الموجود بالمنطقة، كما أن مخزون الأغواط قد تم التبليغ عنه من قبل أحد الخونة، في حين بات مخزون القبائل تحت يد المصاليين بعد بداية الثورة، ولذلك فلم تسلم سوى مخازن السمندو والعاصمة والاوراس، وتضم في مجموعها حسب عبد الله مقلاتي 320 قطعة[2]، وهو رقم يقارب ذلك الذي تفضّل به أحمد بن بلة. أما ان نحن صدقنا ما جاء به العقيد الطاهر الزبيري في مذكراته، فيبدو أن الأمر كان شبه انتحار لولا عزيمة الرجال، حيث قال: " ثورتنا انطلقت ضعيفة محدودة السلاح، بل كنا في الأيام الأولى نحمل أسلحة من الخشب للتمويه"[3].

الأكيد، هو أن الثورة بدأت جزائرية خالصة فكرا وتسليحا، لأن الاشقاء في مصر خيبوا امال قادة الثورة ولم يقدموا لهم أي دعم في هذا الاتجاه عند بداية الثورة، كما أن الاتفاق الذي كان بين قادة الثورة في الغرب الجزائري ومناضلين من المغرب بخصوص مسألة التسليح لم تضف الى أي نتيجة [4]، وهو ما يفسر اندلاع الثورة من دون أن تدخل أيّة قطعة سلاح من الخارج، هذا بالإضافة الى أن وتيرة دخول الأسلحة طيلة عام 1955 كانت بطيئة[5].

وإذا كانت المواضيع التي تناولت مسألة التسليح خلال الثورة أو بدايتها كثيرة، الاّ أن القليل منها تطرّق الى كيفية لجوء عناصر جيش التحرير الوطني الى التسلّح من العدو، ولذلك جاء هذا العمل الذي يهدف الى الاجابة عن اشكالية التسلّح من المستعمر نفسه حسب مبدأ: "خذ سلاحك من عدوّك"، من حيث

النماذج والنتائج.

العدو مصدر أساسي للسلاح

بحكم المعطيات السابقة فقد كان الحصول على السلاح من العدو من اولى الاولويات العسكرية بالنسبة لقادة الثورة، وذلك بالهجوم على مستودعات الاسلحة منذ الفاتح نوفمبر 1954م حيث قام عمر اوعمران بمهاجمة ثكنة بوفاريك، وتولى رابح بيطاط بمهاجمة ثكنة البليدة[6]، وأشارت بعض الكتابات الى أن العمليتين تمتا بتواطئ مع عناصر من داخل الثكنتين، الا أن ذلك رأي يجانب الحقيقة لأن نجاح انطلاق الثورة كان مرهون بسريتها[7]، الا ان الهجومين لم يحققا النجاح المتوقع بسبب انفجار القنابل التي وضعت في مخازن تعاونية بوفاريك، كما أن مستوع الحلفاء انفجر قبل منتصف الليل، الأمر الذي أبطل مفعول عامل المفاجأة. ومع ذلك تمكن اوعمران من الحصول على بعض القطع من الأسلحة من مقصورة الحراسة، الا ان هجوم البليدة مني بفشل تام، بسبب التدخل السريع للقوات الفرنسية، وقد يكون الإنذار وصل من بوفاريك[8]، ومع ذلك خلف الهجوم خسائر مادية معتبرة.

كلّف بن بولعيد في باتنة بالشرق الجزائري ثلاث مجموعات مشكلة من عشرة رجال لكل منها بالهجوم على الولاية الفرعية لباتنة، مقر الدرك وثكنتين عسكريتين بهدف الاستيلاء نظريا على الاسلحة[9] عبر افتكاك قطع السلاح من ساحات المعارك. وذلكم كانت مهمة الفرقة التي قادها شيهاني لمحاصرة فرقة الدرك في(تكوت) بين باتنة وبسكرة[10]، وحتى الهجوم على منجم الرصاص بإشمول بباتنة أيضا كان بهدف الحصول على كمية من المتفجرات، بالإضافة الى الهجوم على مركز الدرك بسمندو، وبمنطقة القبائل، وخنشلة وبسكرة التي اسفرت عن الاستيلاء على بعض الاسلحة[11].

العمليات العسكرية كانت مهمة لنشر وضعية عدم الامن لدى الأوربيين واثبات فعالية الثورة، وان كانت الكتابات الفرنسية قللت من عددها وبالتالي من قيمتها، حيث أكّد المجاهد سالم بوبكر، أحد قادة هجومات الفاتح من نوفمبر في خنشلة في بحث دقيق، الى أن مجموع الهجومات العسكرية المنفذة في كامل التراب الوطني بلغت ثمانون [80] هجوما وذلك في الموقع الالكتروني الرسمي للمركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر1954 [12].

رغم الفشل الذي منيت به بعض العمليات لأسباب كثيرة، الا ان اعتبار العدو كمصدر رئيس للسلاح كان من بين استراتيجيات جبهة وجيش التحرير الوطني، ويقول المجاهد عبد الرحمان عمراني في هذا الصدد: "تواصلت عملية الاستيلاء على الأسلحة من القوات الفرنسية دون انتظار الأسلحة من الخارج"[13].

أشارت المراجع أيضا أنه الى غاية شهر جوان من سنة 1956 فقد الجيش الفرنسي 2700 قطعة سلاح، 58% منها عن طريق فرار المجندين، وقد أشير الى تصريح لكريم بلقاسم في جريدة L'Express الفرنسية بتاريخ 26 جوان 1958 جاء فيه بأن جيش التحرير الوطني كان يسترجع عددا من الاسلحة يفوق ذلك الذي كان يفقده في المواجهات العسكرية[14]، علما بأن تلك الاسلحة المتحصل عليها من الجيش الفرنسي كانت أكثر جودة وفعالية. وان كانت جريدة لوموند الفرنسية كتبت في عددها بتاريخ 16 جانفي 1957 بأنه منذ نهاية سنة 1956 كان الجيش الفرنسي يسترجع عددا من الاسلحة يفوق تلك التي كان يفقدها(15)، وهو خبر لا يعدو كونه دعاية اعلامية مغرضة للنيل من الثورة ومعنويات الثوار والرأي العام الفرنسي والدولي.

في القطاع العاصمي فقد كانت القنابل التي وضعت أمام دار الاذاعة وسط الحي الاوربي بالعاصمة، وبمصنع الغاز، وبخزانات الوقود بالميناء من صنع يدوي محلي، مما كان يعني ان الثورة كانت تملك مقدرات تقنية في هذا المجال.

ضعف التحضير الفرنسي لمجابهة حرب العصابات

لم يكن بإمكان جيش التحرير الوطني الدخول في مواجهة عسكرية مباشرة مع قوات الاحتلال بسبب عدم تكافؤ القوى، ولضمان استمرار الثورة لتحقيق هدفها الأساسي المتمثل في إنهاء وتصفية الاستعمار، تركزت جميع الخطط العسكرية على حرب العصابات، وليس لذلك علاقة أكيدة بالكتاب الذي نشر في الصين من قبل (ماو تسي تونغ) عن موضوع حرب العصابات (النسخة الفرنسية سنة 1951) لأن ذلك الاختيار كان يمليه العقل والمنطق والتجربة العسكرية الطويلة لدى الجزائريين.

لقد تنبه البريطانيون منذ البداية الى أن الجيش الفرنسي المدرّب على طريقة الحروب الكلاسيكية قد وجد صعوبة كبيرة في التأقلم مع الحرب الدائرة في الجزائر، وذلك كان من دون شك لمصلحة الثورة على الأقل لغاية سنة 1957. وكان القنصل البريطاني في باريس كلادوين جاب (Gladwyn Jebb) من الأوائل الذين تنبهوا لذلك في رسالة له الى الوزير الأول البريطاني أنطوني ايدن (Antony Eden) بتاريخ 7 مارس 1956 ومن بين ما تضمنته التالي: " ... ان الأجهزة العسكرية الفرنسية وجدت نفسها في ورطة خلال السنتين الماضيتين"[16].

لم يكتف الانجليز بتحليل الوضع فحسب انطلاقا من تجاربهم الاستعمارية ولاسيما في ماليزيا وكينيا، بل أرسلوا الى الجزائر العقيد ويلسون (Wilson)في بداية سنة 1957 للتباحث مع الضباط الفرنسيين؛ حيث التقى مع الجنرالين أندري ولاك (André Dulac) قائد الناحية العسكرية العاشرة وكذا الجنرال لوت (Loth)، وقد أسفر هذا التدخل البريطاني

الى انشاء مركز تدريب متخصص في حرب العصابات بمنطقة أرزيو بالغرب الجزائر في ذات السنة[17].

مهما يكن من أمر، فإن حالة الارتباك التي كانت تعيشها القوات الفرنسية في الجزائر، قد أفادت كثيرا جيش التحرير الوطني في تسجيل انتصارات وحضور عسكري على الساحة رغم قلة الامكانيات، كما سمح له ذلك الوضع من الحصول على السلاح من العدو بنوع من اليسر، ومكّنه من اخراج الثورة من مرحلة الخطر، لأن السفير البريطاني السالف الذكر أشار الى " أن كل من الحكومة الفرنسية في باريس والحاكم العام روبار لاكوست استهانا بالثورة الجزائرية في البداية"[18].

بعد المضايقات والحصار الذي ضرب على الحدود الجزائرية الغربية وخاصة الشرقية التي كانت تعتبر قاعة خلفية هامة للثورة ومصدر أساسي لعبور الاسلحة، بعد اقامة خطي شال وموريس بات الحصول على السلاح من العدو أكثر أهمية، ومصدر مضمون أيضا، وساعد على ذلك الأمر الاستراتيجية العسكرية التي اتبعها جيش التحرير الوطني منذ البداية والقائمة أساسا على حرب العصابات التي تعتمد على عامل المفاجئة والمباغتة، والتي كثيرا ما تكون نتائجها ايجابية.

تطور القوات العسكرية الفرنسية في الجزائر

لم يأخذ الساسة الفرنسيون الثورة الجزائرية محمل الجد في البداية، ولكن أمام فعالية العمليات العسكرية وفداحة الخسائر البشرية والمادية، اتخذ هؤلاء قرار ارسال تعزيزات الى الجزائر من الميتروبول ومن القوات المتواجدة في ألمانيا الغربية.

الفترة	1 جانفي 1955	1 جويلية 1955	1 ديسمبر 1955
حجم القوات العسكرية	66238	101636	169599

جول رقم 1: تطور الجيش الفرنسي في الجزائر الى غاية نهاية سنة 1955 [19]

يبدو تطور عدد القوات الفرنسية في الجزائر بشكل واضح، الا أن ذات السفير البريطاني اشار الى أن ذلك لم يكن كافيا لتقويض الثورة في البداية، ولذلك سنشهد خلال الفترات اللاحقة تزايد تاريخي للجيوش الفرنسية في المستعمرة حيث وصل حجمها الى 421500 جندي الى غاية 20 جوان 1957.

لم تكتف الادارة الاستعمارية بهذا الكم لعدة اعتبارات منها:

- النجاحات العسكرية والديبلوماسية للثورة الجزائرية.

- شعور القيادات الفرنسية المدنية والعسكرية بأن جوهرة مستعمراتها سائرة نحو التحرر والانعتاق والانفلات من السيطرة والاستغلال الاستعماري.

ظن هؤلاء القادة الاستعماريون، الذين انتابتهم حالات من الهستيريا والخوف من أن حلم الجزائر الفرنسية قد أشرف على نهايته.

الجيش البري	412000
القوات الجوية والبحرية (على الاقدام)	4500
الدرك	12800
المجموع	429300

جدول رقم 2: تطور القوات الفرنسية بالجزائر الى غاية 1 جوان 1958 [20]

والملاحظ ليس فقط ارتفاع حجم القوات الفرنسية في الجزائر، ولكن اقحام عناصر من القوات البحرية والجوية في المعارك البرية؛ حيث أقحم بعض مظليي سلاح الجو في المعارك البرية، وكلفت عناصر من البحرية بمنطقة الغزوات بعمليات بريّة على الحدود الجزائرية المغربية.

يبدو من خلال الارقام الواردة غياب قوات أخرى أجنبية ومحلية كانت تشمل الاحتياطيين، الحركة، قوات الدفاع الذاتي وغيرها، لأن مجموع القوات التي كانت تحمل السلاح من أجل بقاء الجزائر فرنسية بلغ 612390 مسلح بتاريخ 1جويلية 1959 [21].

هل أثر هذا التزايد في قوة النار الفرنسية على عناصر جبهة وجيش التحرير الوطني؟

من دون شك أثر ذلك بشكل أو بآخر، خاصة في ظل غلق الحدود الشرقية والغربية، ولكن ارادة جيش التحرير كانت لا تقهر، حيث تأقلم مع الوضع واستفاد من دون شك من عدم خبرة المجندين الجدد في إطار الخدمة العسكرية من الفرنسيين الذين بدأوا يحوّلون الى الجزائر منذ شهر جوان 1956، حيث أشار الباحث ترامور الى كمين الأخضرية الذي وقع بتاريخ 18 ماي 1956 والذي راح ضحيته 19 من هؤلاء المجندون، كما أشار أيضا الى تقرير للقيادة العسكرية السامية للناحية العسكرية العاشرة بالجزائر بتاريخ 5 اكتوبر 1957 والذي تضمن معلومات بشأن استمرار ارتفاع عدد الفارين من المجنّدين الفرنسيين[22].

لم يكن هذا الفرار وليد الصدفة، لأن قوات اللفيف الأجنبي كانت تمثل نخبة الجيش الفرنسي، وانما هو نتيجة لمجهود كبير كانت تقوم به قيادات بارزة في الثورة قبل أن تظهر تنظيمات مؤتمر الصومام، وكذلكم الشأن بالنسبة للتسليح الذي باتت تشرف عليه مصلحة الشؤون السياسية والعسكرية منذ 1956، ثم مصلحة التسليح والتنظيم العام منذ 1958، الى أن تشكلت وزارة التسليح والمواصلات العامة التابعة لجيش التحرير الوطني (MALG) وخاصة احدى مصالحها العشر الفرعية، وهي المصلحة التي كانت تشجع عسكر اللفيف الأجنبي على الفرار والتكفل بترحيلهم الى بلدانهم (SRL)

حسب شهادة أحد المجاهدين بالمصلحة[23]، بعد أن تتحصّل منهم على أسلحة وبعض الذخيرة. وقد فرّ من قوات اللفيف الأجنبي بالجزائر 950 شخص بين 1 نوفمبر 1954 الى غاية 30 نوفمبر 1956، وان كان 39 منهم فقط غادروا وحداتهم العسكرية بأسلحتهم.... وأشار المصدر بأنه حسب احصائيات مكتب اللفيف الاجنبي، فإن نحو 7 % من الفارين التحقوا بصفوف جبهة التحرير الوطني[24].

لم تتوقف عملية الفرار تلك، حيث أشار المجاهد سهلي الطاهر أيضا، الى أنه حضر في الولاية الخامسة عملية فرار 50 من عناصر اللفيف الأجنبي بتاريخ 5 جويلية 1958 من مدينة معسكر فقط، وأضاف بأنهم أوصلوا المجموعة الى المغرب ومن ثمّ الى بلدانهم[25].

لم تشمل استراتيجية الثورة المشجعة لفرار عناصر من الجيش الفرنسي عناصر اللفيف الأجنبي فحسب، بل شملت أيضا عناصر من المجندين المحليين في مختلف الأسلحة، وذكر عبد الله مقلاتي في هذا السياق، استنادا الى شهادات حيّة، أن كتائب كاملة من هؤلاء فرّت من ثكناتها ومراكزها؛ حيث ذكر كتيبة مركز البطيحة قرب سوق أهراس متكونة من 130 جندي في شهر مارس 1956، وكذا فرار عناصر من القناصة الجزائريين بأسلحتهم من منطقة بن سرور ببوسعادة، بالإضافة الى فرار كتيبة كاملة من الميهاريست من مركز حاسي صاكة بمنطقة تيميمون بتاريخ 15 اكتوبر 1957 ومعهم 75 قطعة سلاح.

كان جيش التحرير يراقب كل الجبهات، ويرتقب أيّة هفوة من العدو، كتلك التي قام بها بعد انطلاق الثورة من خلال القائه القبض على عناصر من حركات الانتصار للحريات الديمقراطية، التي كانت قد تضر بالثورة في بدايتها حسب بن بلة في مذكراته. وفعلا، ها هي مخابرات القوة الاستعمارية تغامر بنسج خيوط مكيدة لضرب الثورة بأبناء الجزائر، والتي علقّت عليها مصالح الجوسسة الفرنسية آمالا كبيرة، من خلال ما عرف (بعملية العصفور الأزرق)، أما جبهة التحرير بتحركاتها الديبلوماسية كانت من جهتها تحقق نتائج قد تعجز عن تحقيقها المعارك.

عملية العصفور الأزرق (العملية ك)

يبدو من خلال المعطيات السابقة أن الإدارة الاستعمارية أقحمت مختلف قواتها للقضاء على الثورة التحريرية بالجزائر، بما في ذلك جهاز المخابرات الذي كلّف باختراق جبهة التحرير الوطني، كما حدث في قضية عبد الله يونسي المدعو "مراد" التي تمكنت مصالح الجوسسة المضادة الفرنسية (DST)، والتي تعرف اليوم ب (DGSI)، من استدراجه للعمل لصالحها وكان مكلفا في فرنسا بإدارة الولاية الجنوبية (مرسيليا) قبل أن يوجه الى الولاية الوسطى (ليون)، وقد زوّد المصالح الاستخباراتية الفرنسية بالكثير من المعلومات المهمة، ومع أن مجريات الأحداث جرت في فرنسا، الا أن جبهة التحرير الوطني تفطنت للأمر وحاكمته ونفّذ فيه حكم الإعدام في جوان 1962 [26].

على العكس من ذلك تماما كانت عملية "العصفور الأزرق" (العملية K) التي كانت لها نتائج وخيمة على الفرنسيين على اكثر من صعيد اثر فشل مصلحة الجوسسة المضادة الفرنسية في اختراق جيش التحرير الوطني بمنطقة القبائل خلال سنة 1956. وتعتبر هذه العملية، التي تكتّمت عنها الجهات الرسمية الفرنسية الى غاية صدور كتاب في الموضوع سنة 1997 من قبل الفرنسي كامي لاكوست دوجردان (Camille Lacoste-Dujardin) المتخصص في علم الاجناس، من العمليات التي يتمنى القادة الفرنسيون ازالتها من التاريخ، وكان الجنرال موريس فافر (Maurice Faivre) قد أكّد ما ورد في ذلك الكتاب بشأن العملية سنة 2011 في موقع مجلة الدراسات الاستعمارية على الشبكة العنكبوتية[27].

حيثيات العملية

تعود فكرة انشاء قوّة عميلة مناوئة للثورة في منطقة القبائل الى هنري بول ايدو (Henry Paul Eydoux) المستشار التقني بديوان الحاكم العام، الذي طلب من مدير الجوسسة المضادة (DST) غاستون بونتال (Gaston Pontal) نسج خيوط عملية خطيرة هدفها القضاء على الثورة بتمزيق مكوناتها البشرية، أي خلق قوة عميلة من الخونة تعمل لصالح فرنسا، تجهّز بالأسلحة والذخيرة والمؤن والأموال، وتعمل على محاربة مجاهدي الثورة عملا بالقول "من أجل اصطياد ذئاب بلوشستان، يجب الاستعانة بكلاب بلوشستان"[28].

وأسند بونتال العملية الى الضابط أوسمار (Ousmer) قبل أن يوكلها الى النقيب هانتيك (Hentic) العائد من الفيتنام، وكلّف أحد معاوني فرنسا بالمنطقة بالشروع في عملية التجنيد[29]، ومن الذين قاموا بأدوار أساسية في العملية بشكل مباشر من المناضلين الجزائريين، نذكر: السعيد فريروش، زايديد أحمد، مهلل السعيد، عمر تومي ومخلوف السعيد.

سمعت آذان جيش التحرير في المنطقة بالعملية قبل بدايتها وتم اعلام كريم بلقاسم بها، وبذلك انفلتت العملية المخابراتية الفرنسية السرية من يد المستعمر منذ البداية.

تم تجنيد 15 عنصرا من جيش التحرير في البداية ووزعت عليهم الأسلحة، الذخيرة والمال، ثم رفع كريم بلقاسم بالتنسيق مع محمدي السعيد عناصر المجموعة الى 30 ثم الى 600 شخص مسلحون ومجهزون بأحدث الأسلحة، لتصل في النهاية الى أكثر من 1200 مسلّح[30]، وكان قادة هذه الفرقة السرية يطالبون باستمرار بأسلحة أكثر فعالية، ومسؤوليات أكبر، بعد أن تم دمجها في الجيش الفرنسي النظامي.

شرعت هذه المجموعة في نصب كمائن مصطنعة ضحاياها

عناصر من جماعة بلونيس وبعض الحركى، لأن القوات الفرنسية لم تتمكن من التعرف على أي عنصر من عناصر جيش التحرير المطلوبين ضمن الضحايا، كما أن القوة (K) كانت تصل الى المناطق التي يشار الى تواجد كريم بلقاسم بها متأخرة كل مرة، ولذلك بدأت الشكوك تراود السلطات الفرنسية خاصة عندما أدركوا بأن المجنّدين فيها ليسوا من المنطقة[31].

قبل أن تتدخل القوات الفرنسية، أمر كريم بلقاسم تلك القوات بالالتحاق رسميا بجيش التحرير الوطني بأمر سابق من مؤتمر الصومام، أياما قليلة فقط قبل تزويدها بمدافع الهاون التي كانت مبرمجة من قبل المحتل، بعد أن أرسل الى الحاكم العام رسالة مجهولة، أهم ما تضمنته:

" السيد الوزير،

ظننتم بأن خلق (القوة ك) هو عبارة عن تسريب حصان طروادة في قلب المقاومة الجزائرية. لقد تمّ تغليطكم. ان الذين كنتم تظنونهم خونة للوطن الجزائري، هم في الحقيقة مناضلون أوفياء للوطن ... نحن نشكركم على دعمنا بالسلاح الذي سيساعدنا في تحرير وطننا"[32].

نتائج العملية

بقدر ما كان لتلك العملية تأثير بالغ على السلطات الاستعمارية، وخاصة جهاز المخابرات والجوسسة المضادة التابعة لها (DST) التي أثبتت عدم كفاءتها لاختراقها من قبل جيش التحرير الوطني، والآثار المعنوية الجسيمة التي لحقت بقيادة المحتل انطلاقا مما صرّح به (هانتيك) المسؤول عن عملية العصفور الأزرق حينما قال " ان حجم الضرر المعنوي للعملية كان عظيما"[33]، على كل القيادة العسكرية الاستعمارية، وهو الأمر الذي يفسّر احاطة العملية بالسريّة التامة لأكثر من ثلاثة عقود، فقد كان تأثيرها على قيادة جيش التحرير الوطني والثورة ككل ايجابيا من عدة جوانب:

- تمكن قادة جيش التحرير الوطني من احباط عملية محبوكة بمكر كانت قد تؤدي الى نتائج كارثية.

- تمتين أواصر التعاون والتلاحم بين جميع مكونات الشعب الجزائري، والتفافه حول الثورة تماشيا مع ما ورد في بيان أول نوفمبر1954.

- حصول جيش التحرير الوطني على كم كبير من الأسلحة والذخيرة والعتاد، بالإضافة الى مبالغ مالية معتبرة، من خلال تسليح كامل لنحو 1200 من عناصر جيش التحرير بأحدث الأسلحة، وعدد آخر من مناظير تقريب الرؤية.

- تمكن قوات جيش التحرير المنخرطين في (القوة ك) من اعداد كمين لقوات الاحتلال، بعد أن شكّت فرنسا في ولائهم، كانت حصيلته مقتل 50 جندي فرنسي.

- امتناع فرنسا بعد ذلك من التحالف مع عناصر محلية لضرب الثورة، الا في إطار ما كان معمول به (الحركى وقوات الدفاع الذاتي)، وذلك أمر يختلف كل الاختلاف من حيث التسليح والمهام والمسؤوليات.

- ارتفاع معنويات جيش التحرير وقادته، لمواصلة الكفاح من أجل تحقيق الاستقلال.

الخاتمة

كان قادة الثورة التحريرية منذ البداية عازمون على تصفية الاستعمار من دون شرط انتظار المساعدة من الخارج . التي جاءت فيما بعد تباعا . بل اعتمدت على الإمكانيات المتوفرة محليّا ومن المستعمر نفسه، من خلال الهجوم على مختلف المراكز العسكرية، بالإضافة الى استمالة جنود اللفيف الأجنبي ودفعهم الى الفرار عبر حملات دعائية محكمة، ثم تسهيل عملية مغادرتهم للجزائر بعد الحصول منهم على بعض الأسلحة، بالإضافة الى التأثير على المجنّدين من الجزائريين في مختلف قوات الاحتلال واقناعهم بضرورة الفرار من الجندية.

بالإضافة الى هذا وذاك، كان جيش التحرير الوطني يقظا حيث تمكّن من احباط مؤامرة استعمارية لضرب الثورة التحريرية، بل استعمل ذات المكيدة كمصدر هام للأسلحة، وهو الأمر الذي مكّن الثوار من وسائل حربية وفي ذات الوقت منحها دفعا معنويا هاما في مرحلة صعبة من مراحل المسار التحرري،

استمرت الثورة في السير قدما نحو الهدف بعزيمة وإرادة وتضحيات، من خلال التحكّم أكثر فأكثر في الأمور منذ مؤتمر الصومام سنة 1956؛ حيث أوجدت الهياكل والتنظيمات ولاسيما تلك المتعلقة بالتسليح. وعندما تشكلت الحكومة المؤقتة سنة 1958 أنشأت وزارة خاصة لهذا العامل المحوري والاساسي.

لقد كان ذلك التطور في ظل وجود عقبات استعمارية كثيرة منذ نهاية سنة 1956 من خلال سياسة تطويق الحدود بالأسلاك الشائكة، ولذلك أصبح الاعتماد، بعد تحركات ديبلوماسية كثيفة، على الأسلحة من خارج الجزائر، التي تمكن منها الوفد الخارجي للثورة بعد أن نوع مصادر السلاح، وانشاء شبكات خاصة لذلك الغرض. كانت تلك الأسلحة تصل الى القواعد الخلفية للثورة في تونس والمغرب بعد تحقيق استقلالهما، تلك الأسلحة أعطت دعما وسندا أكيدا لجيش التحرير من أجل ارهاق العدو ودفعه الى الاستسلام، بعد ما لحق به من خسائر عسكرية واقتصادية وديبلوماسية، أمام إصرار شعبي شامل على تحقيق الاستقلال والحرية.

المصادر والمراجع

(1) أحمد بن بلة، مذكرات، ترجمة العفيف الأخضر، دار الآداب، بيروت، 1981، ص. 96.

(2) ذلك الواقع لم يكن نتيجة التفريط والتهاون، وانما لظروف كثيرة

منها الأزمة المالية، وأخرى ذات صلة بالاحتلال، حيث ورد في تقرير للمنظمة الخاصة من اعداد آيت أحمد خلال اجتماع "زدين" في ديسمبر 1948 ما يلي: " نريد ثلاثة أشياء؛ الأسلحة ثم الأسلحة ودائما الأسلحة"، بنظر:

الطاهر جبلي، شبكات الدعم اللوجيستيكي للثورة (1954-1962)، أطروحة دكتوراه، جامعة ابي بكر بلقايد، 2009/2008، ص. 29.

(3) عبد الله مقلاتي، "اشكالية التسليح ابان مرحلة اندلاع الثورة 1956-1954"، مجلة عصور الجديدة، العدد 16-17، شتاء-ربيع (أبريل) 1436هـ/2014/ 2015م، ص ص. 366-381.

(4) العقيد الطاهر الزبيري، نصف قرن من الكفاح، مذكرات قائد أركان جزائري، الشروق للإعلام والنشر، الجزائر، 2011، ص. 7.

(5) أحمد بن بلة، المرجع السابق، ص. 97.

(6) عبد الله مقلاتي، المرجع السابق.

(7) - Jacques Duquesne, Pour comprendre la guerre d'Algérie, Editions Perrin, Paris, 2001, p.25.

(8)- Patrick Eveno et Jean Planchais, La Guerre d'Algérie, dossier et témoignages, Editions La Découverte et journal Le Monde, Paris, 1989, p.71.

(9)- Ibid.

(10)- Alistair Horne, Histoire de la guerre d'Algérie, Editions Dahleb, 4é Ed, Alger, 2007, p. 92.

(11)- Ibid.

(12)- Patrick Eveno et Jean Planchais, ibib, p. 72.

(13)-erh-nov54.dz/wpcnerh/%D8%A5%D9%86%D8%AF%D9%84%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%88%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%AD%D8%B1%D9%8A%D8%B1%D9%8A%D8%A9/

(14) . عبد الرحمان عمراني، "التسليح أثناء الثورة"، التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 1956-1962، منشورات وزارة المجاهدين، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2001، ص ص 93-106.

(15)- Hartmut ELSENHANS, La Guerre d'Algérie 1954- 1962, Tome 1, Editions Dar El Kitab El Arabi, Alger, 2014. P.436.

(16)- Ibid, p. 437.

(17)- Martin. S. Alexander, « Les Evaluations militaires Britanniques des capacités de l'armée Française en Algérie (1955- 1958), in : Jean -Charles- Jauffret et Maurice Vaisse, Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, Editions Autrement, Paris, 2000, p.49.58.

(18)- Ibid.

(19)- Martin. S. Alexander, op.,cit.

(20)- Alban Mahieu, « Les Effectifs de l'armée Françaises en Algérie (1954 – 1962), in : Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, op., cit, p. 39.48.

(21)- Ibid.

(22)- Ibidem.

(23)- Tramor Quémeneur, « Réfractaires Français dans la guerre d'Algérie (1954 – 1962), Refus d'obéissances, insoumissions, désertions », In : Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, op, cit, p.115.134.

(24) - سهلي الطاهر، "معلومات عن وزارة التسليح والاتصالات العامة"، التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 1962-1956، المرجع السابق، ص ص. 85- 91.

(25)- André- Paul Comor, « La Légion étrangère dans la guerre d'Algérie, 1954-1962 », Guerres mondiales et conflits contemporaines 2010/1 (n° 237), p. 81-93.

(26) - سهلي الطاهر، "ترحيل جنود اللفيف الأجنبي"، التسليح والمواصلات أثناء الثورة التحريرية 1962-1956، المرجع السابق، ص ص، 132-119.

(27)- Mohammed Harbi, « Histoire d'une infiltration de la DST dans le FLN : l'Affaire Mourad », Colloque pour une histoire critique et citoyenne. Le cas de l'histoire franco- algérienne, 20-22 juin 2006, Lyon, ENS LSH, 2007.

(28)-http://etudescoloniales.canalblog.com/archives/2010/12/27/19983586.html

اطلع على الموقع بتاريخ 29 ديسمبر 2017.

(29) - الطيب آيت حمودة، الحوار المتمدن، العدد 3783، بتاريخ 9 جويلية 2012.

(30)- Alistair Horne, op., cit, p.266.

(31)- Ibid.

(32)- Etudes coloniales، op., cit.

(33)- Alistair Horne, ibid., p.266.